بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من دعا بدعوته ، واهتدى بهديه بإحسان الى يوم الدين •

وبعد : فقد شاءت الأقدار أن أزور الأخ العالم الداعية الأستاذ الشيخ سعيد حفظه الله ، وفى أثناء الزيارة أطلعنى على كتابه الجديد من سلسلة « **دراسات منهجية هادفة فى البناء** » وهو بعنوان « **جولات فى الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما** » وطلب منى — على قصورى وقلة بضاعتى — أن أقرأ الكتاب بتمهل وتفحص ، فاذا كان ثمة ملاحظات أخذ بها بعين الاعتبار وهو فرح مسرور •

وفعلا أخذت المخطوط وقرأته قراءة تدبر وتمحيص من ألفه الى يائه ، والله يعلم كم سررت : لاستفادتى مما كتب ، وللمعالجة الفريدة التى عالجها ، وللبحث العميق الذى جال فيه وصال ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء •

وكم أعجبت حين تكلم عن أصول المنهج فى كل ما يتصل بالعقيدة الربانية ، ووجوب الايمان بالله عز وجل ، بما يتفق وأصول البحث العلمى ، وما يتلاءم مع صراع العقائد وتحديات العصر ، وهو ما سماه بالفقه الأكبر ! •

وكم أعجبت أيضا حين تكلم عن أصول المنهج فى كل ما يتصل باستنباط الأحكام الفقهية العملية من مصادرها الأساسية بما يتفق مع ما قعده أئمة الاجتهاد فى القديم ، وما يتلاءم مع روح العصر ، وحاجات الأمم فى الجديد وهو ما سماه بالفقه الكبير ••

والذى لفت نظرى حقا هو توفيق الله اياه فى اثبات حقيقة التصوف على ضوء ما جاء فى الكتاب والسنة ، وانه الركن الذى يمثل حقيقة الاحسان فى الشريعة الاسلامية ، والذى يتفق مع قوله عليه الصلاة

والسلام : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » ، وكم أجاد حفظه الله حين وضع للسالكين المنهج الذى ينبغى أن يسلكوه فى مراحل السير الى الله ، حتى يكون التصوف موافقا للكتاب والسنة ، محررا من كل التباس وشبهة ..

وفى تقديرى أن المنصف العاقل المتبصر اذا قرأ الكتاب بتجرد واخلاص وتفهم للحقيقة .. فانه يوافق المؤلف فى كل ما ذهب اليه ، ولابد أن يخرج نتيجة القراءة بنتائج عملية طيبة تفيده فى أمر دينه ودنياه وآخرته ..

الله أسأل أن يحفظ لنا الشيخ سعيد عالما وداعية ومصلحا ومجددا ، وأن يبقيه للاسلام ذخرا ، وأن يحقق مجد الاسلام وعز المسلمين على يديه ويد كل داعية عامل مخلص .. انه بالاجابة جدير وخير مسؤول ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد الله علوان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

جاء القرن الرابع عشر الهجرى ووضع المسلمين على غاية من الضعف والانهيار والتمزق ، وبينما كان المجتمع الغربى يسير صعدا نحو تقدم مدنى وقوة مادية متنامية كان العالم الاسلامى يجد نفسه عاجزا لعوامل متعددة أكثرها داخلى وبعضها خارجى ، وانتهت الحرب العالمية الأولى وزاد الأمر سوءا بسقوط أقطار كثيرة تحت سلطة الاستعمار الغربى ووجود استعمار من نوع جديد ، فالأقطار الاسلامية التى كانت تقارع الاستعمار الروسى خدعت بالحركة الشيوعية فخضعت للاستعمار الروسى الشيوعى • ونظرة واحدة تلقيها على خريطة العالم الاسلامى تريك أنه من أواسط أوروبا الى كل آسيا وافريقيا تقريبا قد أصبحت دوله مستعمرات لجهات متعددة ••

وقابل ذلك ردود فعل متعددة ووجدت من قبل ومن بعد تحركات كثيرة ، ومن بين هذه التحركات كانت حركة الأستاذ البنا التى كانت بحق ميلادا جديدا للحركة الاسلامية وتجديدا كاملا للاسلام • فهى الحركة التى استشرفت احياء الاسلام كله • واستشرفت أوضاع المسلمين محاولة انقاذها ، واستشرفت أوضاع العالم عارفة أدواءه وصحته آخذة محلها فيه ••

لقد وجدت قبل هذه الحركة حركات اسلامية محلية ، أو حركات اسلامية تلتزم التذكير ببعض معان فى الاسلام ، وولدت هذه الحركة اسلامية شاملة عالمية ••

* * *

وواجهت هذه الحركة فيما واجهت موجة الردة عن الاسلام والرفض المطلق له ومحاولة صبغ الحياة على ضوء نظريات غير اسلامية وواجهت

فيما واجهت استمرارية السير الاسلامى لمرحلة الدخن فى الأمة الاسلامية وورثت فيما ورثت ردود الفعل العنيفة ضد الدخن والمتمثلة بالشك بالتراث كله ؛ وواجهت غير ذلك •

* * *

وهكذا كان على الحركة أن تدخل معارك كثيرة بعضها سياسى ، وبعضها عسكرى ؛ وبعضها فكرى ••

وفى معركتها الفكرية كان عليها أن تقدم الاسلام للمسلمين ولكل انسان ؛ وكان عليها أن تواجه الردة عن الاسلام متمثلة بنظريات وأحزاب وكتل وتجمعات ومؤسسات وحكومات مأمورة واستعمار موجه ••

وكان عليها أن تواجه الدخن الموروث عن مرحلة الدخن التى تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيرة الأمة الاسلامية متمثلا ذلك بكتل ضخمة من التآليف التى اختلط فيها الخير بالدخن وبتجمعات كثيرة تحرص على الدخن كحرصها على الخير • وتحرص على سنن الشيوخ كحرصها على سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وتتعصب لما اعتمده الشيوخ حتى لو ثبت أن السنة المعتمدة تعارضه وتمثل ذلك بكماله بالطرق الصوفية غير الواعية وشيوخها الذين اصطبغ فكرهم بمعان محلية أو سنن موروثة عن الشيوخ يحرصون عليها ويتعصبون لها الا من رحمه الله • مما أدى الى ردود فعل متعددة كان أشدها بعض الاتجاهات السفلية التى شككت فى الارث الفقهى والصوفى والثقافى كله بحجة الدخن ؛ واذا بنا أمام تيار يرفض التراث كله ويشكك فى المدارس الفقهية وبرجالاتها • واذا بنا نجد من يسىء الظن بأكثرية الأمة الاسلامية على مر الزمن • فحدث أن تزعزعت الثقة بالتراث الاسلامى الذى قدمته العقول المسلمة خلال العصور من دون تمييز بين مرحلة الخيرية الخالصة أو مرحلة الشر • أو مرحلة الخير المخلوط بالدخن ؛ ومن دون تمييز بين العقليات المجددة والعقليات المنحرفة وبين الاتجاهات التى تتمثل بها صيغة الحق خلال العصور وبين غير ذلك ، فالتضليل والتكفير والتفسيق للأمة أصبح ديدن الكثيرين ••

انه بدلا من أن تكون ردة الفعل ضد الدخن هى تحرير الخير من دخنه ؛ وجدت دعوات تريد أن تنسف الخير بحجة الدخن • فكان

جزءا من المعركة المفروضة على الحركة الاسلامية أن تواجه موجة الردة وأن تواجه استمرارية الدخن وأن تواجه ردود الفعل الغالية هذه •

* * *

واكتفت الحركة الاسلامية بالنسبة للدخن وردود الفعل الغالية ضده أن تضع أسسا وأن تمس هذه الأمور برفق لأنها اعتبرت معركتها الرئيسيه مع الردة وأهلها . ومن ثم فقد ركزت جهودها الفكرية على ما به تهزم الردة فكريا • وقد نجحت بفضل الله عز وجل فى ذلك أيما نجاح وكان من آثار ذلك عودة أجيال الى الاسلام بعد ردة عريضة عنه ••

* * *

لقد أدرك الكثيرون فكرة شمول الاسلام ، وعرف الكثيرون أنه حق خالص كما أثرت الأسس العامة المعتمدة لدى الحركة الاسلامية فى تخفيف حدة الكثيرين سواء من وراث الدخن أو من أصحاب ردود الفعل الغالية فيه ، ولكن والحركة الاسلامية الآن أصبحت تواجه هجمتين : هجمة من الذين لا يستشرفون الاسلام كله ولا أوضاع المسلمين ، ولا أوضاع العالم ممن هم فى الأصل وراث دخن أو أنهم جاهلون • وهجمة من الذين يشككون فى التراث كله ، وقد ساءهم أن هذه الحركة لا تغلو غلوهم فتتسف التراث بحجة دخن ما موجود فيه ، لهذا وهذا فقد أصبح من الضرورى الحديث المسهب عن الدخن وعن الغلاة فى حرب التراث بحجة الدخن ••

* * *

وقد كان هذا كله سببا من أسباب تأليف هذا الكتاب •

* * *

وفى العالم كله فوضى فكرية ، وفى العالم الاسلامى نفسه الذى كان ينبغى أن يكون النموذج على الكمال • والذى محله فى هذا العالم محل القدوة والطبيب • هذا العالم كذلك فيه فوضى فكرية ، ومن مظاهر هذه الفوضى أن الكثيرين لا يعرفون محل الحكم العقلى من الحكم التجريبى من الحكم التشريعى • ومن هو صاحب الحق فى الحكم التشريعى ؟ وكيف ينبثق الحكم التشريعى الحق ؟ ان الفوضى الفكرية

فى نقاط البداية هذه تؤثر على سير الانسان فى حياته كلها ، وبالتالى فان تأثيراتهـا على الحياة البشرية كبيرة وخطيرة • وهذه قضية أخرى اقتضت كتابة هذا الكتاب ••

* * *

وخـلال مسيرة الأمة الاسلامية اتجه أهل العلـم للبحث عن الفتوى الملائمة للواقع على ضوء الأوضاع الاستثنائية التى يمر بها المسـلمون حيث كان الحكم يتحكم به الأقوياء والقوة هى التى تفرض الرأى النهائى أو الوضع النهائى بدلا من الشورى ، وهكذا ضاعت الأوضاع العادية التى كان ينبغى أن يكون عليها المسلمون :

فمثلا فى أوضاع عادية كان ينبغى أن تكون الشورى هى الحاكمة فى الأمة الاسلامية ، وكان المفروض أن تتطور من خلال الواقع الجوانب التطبيقية لموضوع الشورى فى الحكم ••

وفى أوضاع عادية كان المفروض أن يتطور نظام حكم واحد فى العالم الاسلامى يجتمع فيه العدل مع الحق مع القوة مع الغنى مع التخطيط العالى مع نمو الكفاءات فى كل علم • ولكن هذا قضى عليه الأهواء والجهل والأمراض الظاهرة والخفية ••

وهكذا ضاعت الأحـوال العادية لحساب الأوضاع الاستثنائية وكان العلماء الأفذاذ لا يجدون أمامهم الا أن يعالجوا الواقع المريض وأن يقدموا الفتوى على ضوئه ولم يكن أمامهم خيار ••

فحتى ابن تيمية فى صراحته وجرأته فى التصريح فيما يعتقد لم يكن أمامه خيار فى ألا يسلم للواقع كما هو فى قضايا كثيرة وهكذا سادت الأوضاع الاستثنائية فى الأمة الاسلامية وأصبحت الأحكام الأصلية فى كثير من الشؤون محل نسيان أو صمت •

والحركة الاسلامية المعاصرة وهى تسعى للعـودة الى الوضـع الصحيح باعادة الأحكام الأصلية واستئناف الحيـاة الاسـلامية فى منطلقاتها الصافية ، تواجه واقعا هى مضطرة فيه لملاحظة الأوضاع الاستثنائية وللأخذ برخص الله وهى تتحرك فهى مضطرة للموازنة بين ما تسعى لتحقيقه كهدف وبين سيرهـا اليومى الذى تحكمه الفتوى البصيرة من أهلهـا والشورى من أهلها ، والفتوى البصيرة هى التى

تضع كل شيء فى اعتبارها : الوضع الأصلى والوضع الاستثنائى وتوازن بين الشرور والأضرار وتضع فى حسابها المصلحة الشرعية وتأثير الأوضاع والأعراف على بعض الأحكام .

ان الحركة الاسلامية وهى تخطط للسير نحو اعادة الأوضاع الى الأصل واذ هى محكومة بالواقع ليس أمامها خيار فى أن تكون منطلقات السير فى كثير من الأمور واضحة ، وهذه قضية ثالثة من أجلها كان هذا الكتاب ..

* * *

هذه القضايا هى الأمور الأساسية التى دعت الى كتابة هذا الكتاب .

ومع علمنا أن أبحاث هذا الكتاب ستثير حساسيات جهات شتى ، فقد آثرنا أن نتكلم فيها لأن الغموض فى شأنها — فى رأينا — شر من الكلام فيها . خاصة وأن الغموض فيها يجر الى مشكلات تنمو على الزمن .

* * *

ان هذا الكتاب محاولة لتبيان ضرورة دراسة الفقه والتوحيد والتصوف بعد تحرير هذه العلوم من الدخن الذى أصابها فى العصور المتأخرة ..

كما هو محاولة لتبيان ضرورة دراسة علم أصول الفقه وعلم المنطق . هذه المحاولة اقتضت منى أن أتحدث باسهاب عن الحكم العقلى والحكم العادى والحكم الشرعى وكيف أن الوصول الصحيح الى الحكم العقلى والعادى اقتضى وجود علم المنطق الاستنتاجى والمنطق الاستقرائى وأن الوصول الصحيح الى الحكم الشرعى أوجد علم أصول الفقه . كما اقتضت هذه المحاولة منى أن أبرهن على أنه كان لابد أن تنشأ علوم الفقه والتصوف والتوحيد ، وعلى أنه لابد من دراستها فى عصرنا . ولكن بعد أن يلم المسلم بما يعصمه من الخطأ فيها ..

* * *

واذا كان بعض الدارسين يرون أن هذا يتناقض مع فكر الحركة الاسلامية الحديثة فقد اقتضى منى ذلك أن أبرهن أن هذا جزء من تصورات الحركة الاسلامية الحديثة وأن سلامة الحركة فى الحاضر

ومقتضيات الحركة فى المستقبل تقتضى أن تدرس هذه العلوم وأن يوجد فيها مختصوها ..

* * *

ولم أقف عند المنطق كثيرا لأن قسما كبيرا من أبحاثه هى من باب المكروهات أو الأغلوطات ولكن جانبا منه لابد منه ، هذا الجانب هو الذى أريد أن يكتب فيه ، ولقد أحسن العقـــاد وهو يتكلم عن موقف ابن تيمية رحمه الله من المنطق اذ قال :

« وموقف الامام ابن تيمية من المنطق والجدل شبيه بموقف الامام الغزالى . ولكنه يرى أن المنطق سليقة فى العقل الانسانى يستغنى عنه الذكى ولا ينتفع به البليد اذا جاء على غير سليقة واستعداد . ومن كان هذا رأيه فى المنطق فمحال أن يقال عنه انه يلغيه ويحرمه لأنه لا يلغى الفطرة ولا يحرم تركيبا أودعه الله نفوس خلقه ، ومن نظر فى كتب ابن تيمية التى ناقض بها أدعياء المنطق وعشاق الجدل علم أنه كان بصدد انشـــاء منطق صحيح وهداية الى تطبيق أصـــول المنطق القويم ، ولم يكن متصديـــا لهدم المنطق من أساسه على جميع وجوهه وفى جميع تطبيقاته . فهو يستخدم قضايا المنطق ليبطل دعوى المناطقة الذين يضعون الحدود فى غير مواضعهـــا ويقيسون الأشباه والنقائض بغير قياسها ويهدرون الحقائق فى سبيل المصطلحات والألفاظ بغير دراية لمعناها ..

« وقد سلك ابن تيمية هذا المسلك فى مواضع كثيرة من رسائله وكتبه التى أدارها على مناقضة الجدليين والمناطقة المتشبثين بالمصطلحات والتعريفات اللفظية ، فلا يسع منصـــفا أن يظن به أنه يحرم الحجة والبرهان وهذه حججه وبراهينه تعتمد على الدليل والقرينة والاستقراء والمشاهدة وكل ما تنتظم به قضايا المنطق ودعاواه ، وغاية ما يقوله المنصف ان التحريم عنده مقصود به اللغو والجدل والولع بالسفسطة على غير جدوى ، وأنه تحكيم للعقل فى المنطق انقاذا له من تحكيم المنطق فيه ، ولا يكون المنطق متحكما فى العقل صارفا له عن النظر القويم الا اذا غلبت فيه أشكال اللفظ والصيغة على حقائق المعنى وجواهره . فهو بهذه المثابة ربقة للعقول ينبغى للمفكرين أن يطلقوها من شباكها ليستقيموا بها على سوائها .

وما كان ابن تيمية بالذى يظن به أنه يعادى المنطق لأنه يجهله ويستخف به مداراة لعجزه عنه • فان معرفته به ظاهرة فى معارض قوله كأنه من زمرة المتخصصين له والمتفرغين لدراسته وحذق أساليبه • ومثل هذا لا يتصدى للمنطق الا أن يكون فيه ما يخشى ضرره على الناس ، ولا سيما المشتغلين به من غير أهله » •

* * *

انه فى الحدود التى تكلم عنها الغزالى وابن تيمية فى المنطق نريد كتابة فيه ودراسة له تكون جزءا من دراسة المسلم المعاصر •

لقد جلنا فى هذا الكتاب ثمانى جولات كلها فى مثل هذه الشئون ، وكلها فى ظننا مما يحتاجه المسلم فى عصرنا ليكون على وضوح فى أمر سيره العلمى وموقفه مما حوله •

وقد يرى القارىء فى هذه الجولات تداخلا سببه أنها كتبت على فترات متباعدة ، وقد يرى ضعف ارتباط بين جولة وجولة سببه أن الجولات بمجموعها تحاول أن تحقق مجموعة أهداف وليس شرطا أن تحقق الجولة اللاحقة الهدف الذى حققته الجولة السابقة •

* * *

ومهما يكن من أمر فاننا نرجو أن يخرج قارىء هذا الكتاب بنتائج تفيده فى أمر دنياه وأخراه والله المستعان ونسأل الله أن يجعل هذا الكتاب خالصا لوجهه الكريم وأن يجعل النفع به ، انه سميع مجيب •

* * *